... والقبلية النقدية أيضاً !

بقلم عبد الحي دياب

« وهذه الثورة العربية تحتاج الى ان تسلح نفسها بالوعي القائم على الاقتناع العلمي النابع من الفكر المستنير، والناتج من المناقشة الحرة التي تتمرد على سياط التعصب او الارهاب »

الميثاق الوطني ـ الباب الثاني

* *

حينما كتبت مقالي السابق « القبلية النقدية فى مصر » لم اكن اعني وجود هذه القبلية في مصر وحدها ، وعدم وجودها في البلاد العربية الاخرى ، وانما كنت اعني وجودها في البلاد العربية جمعاء على مستوى واحد من سلوكها المشوى ، وانحرافها عن الجادة ، وخطرها المرتقب .

ولما لم اكن على معرفة تامة بما يقابل تلك القبائل فى البلاد العربية لكي اتحدث عنها على مستوى تلك البلاد قاطبة ، كان لا بد من ان اوثر الحديث عنها في مصر فقط ، ولا يعنى هذا انها غير موجودة بالضرورة في تلك البلاد العربية، لانني قصرت الحديث فيها على مصر .. لان مصر ما هي الا دوحة فينانة في ذلك البستان العظيم الذي يهدف المفكرون والساسة في لم شتاته وجمع شعثه .. وذلكم البستان هو الوطن العربي الكبير، والحديث عن الجزء لارادة الكل سائغ فى الادب والفكر العربي على سواء .

ومن واجبنا فى هذا المقال ان نطمئن الاخ الدكتور عبدالرحمن اللبان الذي علق على « القبلية النقدية فى مصر » بقوله « يود القارىء لو طلع عليه الكاتب بعرض ظاهرة التكتلات النقدية »، وبقوله « ان القبائل الناقدة معروفة فى كل العصور الادبية ، وهذه مشكلة ناجمة عن كوننا ما زلنا في مراحل الطفولة من نمونا الاجتماعي والادبي ».

اقول من واجبنا ان نطمئن الاخ الدكتور ، قائلين له اننا لن نقتصر على تلك المقالة السابقة ، بل سنتبعها في هذه المشكلة باخرى واخريات ، ملتقطين حبل حديثنا كما اشار اليه الدكتور نفسه فى تعليقه « نحن في مراحل الطفولة من نمونا الاجتماعي والادبي » .

ومن ثم فاننا نعتقد اننا نقف وجها لوجه امام جوهر الموضوع، وصميم المشكلة .. تلك التى لها خطرها وجلالها فى زلزلة القيم، واهدار مبدأين انسانيين يتمثلان في تكافؤ الفرص ، والبقاء للاصلح.

ولعل الامانة فيما نأخذ به انفسنا في كل ما نخطه شباة قلمنا، او لهاة لساننا ، وكذلك ايماننا بوطننا العربي الكبير ، يفرضان علينا ان نقوم بدور الريادة فى هذا الموضوع ، مطرحين علاقاتنا الشخصية بافراد هذه القبائل النقدية وراء ظهورنا . ومستهدفين فى ذلك الله والوطن والحق والخير والجمال .

كما اننا نعتقد ان دورنا يحتم علينا ان نتتبع جذور هذه القبلية فى كل المجالات ، لكي نكشف عن حقيقتها ، ويفتضح امرها، ويعرفها الجميع من ابناء الوطن الفدى ، في مظانها السابقة حتى يستطيعوا اقتلاعها والتخلص منها، او على الاقل اجتناب القائمين بها، والمروجين لها .

ورائدنا فى ذلك ونحن نبنى الوطن العربي الفدى انه لا بد ان نختبر الارض التي نقف عليها ، ونروزها لنعرف جيدا موقفنا منها على حقيقته ، ويسنى لنا حينئذ السير قدما الى الامام نحو الغاية المنشودة التى تهدف الى تحقيق الاشتراكية الحقة للشعب العربي، وتكافؤ الفرص للمواطنين ، ليصعد الى القمة من هو بها جدير، ويهوى الى القاع المتباطىء الكسول الذي لم يهيىء نفسه للعمل الجاد المفيد.

وأود ان أقرر في هذا المقام انني لم اقصد ان انال من بعض اعضاء هذه القبائل او كلهم ، ولم اهدف بهذه المقالات الا ان اضع يد المصلحين على الداء الذي يتهدد حياتنا الفكرية والادبية والسياسية كذلك بالخطر الداهم الحاطم ، حتى يستطبعوا معالجته فى النفوس والمشاعر .

ولكن هذا لا يمنعني من ان اقرر كذلك انني اغضبت بعض من تناولتهم ، وسيغضب من سأتناولهم ، نعم سيغضب هؤلاء وهؤلاء جميعا بالرغم من تأكيدي لهم بانني لم اقصد النيل منهم قدرما اقصد تقرير مشكلة خطيرة كهذه لها من زلزلة القيم الرائدة مالها ، سيغضبون وسيغضبون ، وسيقولون .. وسيقولون ، وسيمشى اناس منهم فى المدينة يرجفون فيها ...

وربما يشفق علي بعض القراء وخاصة في مصر لما لهذه القبائل الناقدة من صولات وجولات غير مستقيمة لمن يتعرض لها بالنقد او بالتعريض ...

بيد اني سرعان ما قتلت هذا الخاطر بقلمي الذي لا يستهدف الا الحق والخير والجمال ، ومصلحة الوطن التي هي اغلى من كل شيء عندي .

وهانذا اتقدم بحديثي هذا الى المصلحين علهم يستفيدون به فى مجال دراساتهم وميادين اصلاحهم . اما الخوف من الايذاء والمكروه، والمصائب والانواء ، والخطوب والاعاصير التى ربما تنتظرني ممن تعرضت لهم وسأتعرض لهم ، فيلعلم القارىء ان هذه وتلك ليس لها عندي حساب ، اللهم الا التحدي وليكن ما يكون ..

بواعث القبلية :

ولكي نفهم بواعث القبلية بصفة عامة عند العرب يجب ان نشير الى ظاهرة تكاد تكون من المسلمات فى التفكير العربي واليها ترجع نشأة هذه القبلية عند العرب .. وهذه الظاهرة تتمثل فى انعدام روح الفريق ، بحيث يمركز كل فرد الاعمال الجليلة نحوه، سواء أكانت فى المؤسسة التى يعمل بها ، او فى الحى الذى يسكنه ،او فى الميدان الذي يبدع فيه.. او .. او .. الى اخره

وهو في مركزته لهذا العمل نحوه ، ونسبته اليه انما يغمط الاخرين حقوقهم التي يستحقونها بما قاموا به تجاه هذا العمل .

ونعتقد اننا لسنا مجانبين للصواب حينما نقول : ان هذه الظاهرة سبب في فساد الكثير من اعمالنا ، حينما ياخذ الواحد منا على عاتقه القيام بمهمة ما ، ثم يتوانى فى انجازها شيئا فشيئا حتى يفشل فى مهمته ، ويتم وأد المشروع على يديه .

ذلك انه لا بد لكل عمل من ايد محركة كثيرة ، ومن افكار تهدى الايدي نحو العمل السديد ، وترسم له المنهج الذي تسلكه تلك الايدي ، ولا يمكن ان يقوم انسان ما ـ اي انسان ـ بعمل ما وحده، لان هذا مخالف لاولى البدهيات فى علم الاجتماع ، وهي ان الانسان مدني بطبعه ، كما يقول ابن خلدون ، ومخالف كذلك لقول بعض الحكماء « المرء قليل بنفسه كثير باخوانه » .

على انه يمكن ان نستدل على هذه الظاهرة بدليل قاطع لا يمكن ان ياتي اليه التكذيب من اي جانب ، لانه واضح وملموس للكثيرين .. ويمكننا ان نلمسه فى اكثر من جانب ...

فمن جانب التربية الرياضية ، فانك ترى فرقنا الرياضية الجماعية كفرق كرة القدم لا تغلب الا فى القليل الاقل ، وتهزم فى الكثير الاكثر ، وفى كلتاالحالتين : حالتي النصر والهزيمة تجد الفريق على مستوى واحد فى اللعب ، غير انه حينما تتضح تلكالروح - انعدام روح الفريق - يهزم الفريق لا محالة فى ذلك ، لان كل لاعب من الفريق انما يعرضكلما عنده من عضلات فى لعبه غير مكترث بزميله الذى ينتظر منه ان يناوله الكرة .

وليس ادل على ذلك من ان اللاعب عبدالكريم صقر ، يأخذ الكرةمن اول الملعب الى اخره فوق راسه، ولا يسمح لاي انسان ان ياخذ منه الكرة حتى ولو كان من اعضاء فريقه ، وفى النهاية تجده قد تعب واخذت منه الكرة للاعبين الاخرين .. اقول اذا سيطرت هذه الروح على الفريق يهزم . واذا انعدمت هذه الروح بين اللاعبين تراه يفوز على الفريق الذي يلاعبه ، او يقرب فى الاصابات التي يسجلها ضد بعض الفرق التى تعد فى الدرجةالاولى من الفرق الدولية . اما اذا كانت الالعاب الرياضية تعتمد على الفردية ، فانك لواجد ان لاعبنا يتقدم اللاعبين الدوليين ، ويكون اولهم ، او من الخمسة الاوائل على الاقل ، وذلك فى السباحة والعاب القوى وغيرهما .

والجانب الثاني هو التربيه الفنية ، وهذه هي الاخرى قد بلغنا فيها فردا فردا ، فعندنا مثلا عبدالوهاب ، وعندنا كذلك ام كلثوم ، ووديع الصافي ، وفيروز ، وغيرهم من الجنسين ، ولكن ليس عندنا فرقة جماعية تستطيع ان تغنى غناء جماعيا يترجم عن روح هذا الشعب، بل انك لو جئت بعبدالوهاب او وديع الصافي ، او بام كلثوم وفيروز فى فرقة جماعية ليغنى كل منهم فى هذه الفرقة مع اخرين ، لما نبغ واحد منهم فى اطار الجماعة نبوغه وهو يغني منفردا .

ولعل تمثيلنا بالتربية الرياضيةوالتربية الفنية تكون موفقين فى ذلك التمثيل ، لانهما اوضح دليل على انعدام روح الفريق بين العرب ، وذلك على الرغم من ان علماء الحضارة يذهبون الى ان كلا من التربية الرياضية والتربية الفنية هما الدليل اكبر الدليل على رقي الامم .

ونستطيع بعد ذلك ان نقول فى التفكير عند العرب : انه تفكير فردي في الاغلب الاعم ، جماعي بحكم القانون ، لا بحكم الطباع والامزجة .

ومعنى هذا ان التفكير الجماعي لا يبدو الا فى الامور التي يظهر فيها توجيه الدولة للمفكرين نحو مشروع معين ، وهذا هو السبب فى عدم تكوين اتجاه فكري يفلسف امال الشعب وامانيه في الماضي، كما انه هو السبب ايضا في عدم ايجاد مذهب ادبي يحمل روح العرب ، ويعبر عن ذواتهم ، ويتسق مع فلسفتهم فى الحياة ،ونظرتهم الى الكون والوجود ، وذلك بدلا من الخلط فى الاداب الاجنبية العديدة ، ذلك الخلط الذي لا يمثل مذهبا معينا ، ولا يعبر عنه جنس بعينه ولا عنه لغة بعينها ، ثم وقوف مفكرينا وادبائنا امام هذه الاداب موقف القردة المدربة على التقليد والمحاكاة ، مع الحكم بالغاء عقلهم البشري على مذبح هذه الاداب الوافدة قربانا وزلفى لدارسيها ومبدعيها من الغربيين .

ومهما يكن من امر فان هذه الظاهرة ترجع اول ما ترجع الى ان الاستعمار الذي كان يهدف الى تفريق العرب كشعوب وكجماعات على مبدأ « فرق تسد » ، وفى الوقتنفسه كان ينمى فيهم الشخصية الفردية ، ومن ثم نشأ بين العرب اصحاب المصالح الشخصية الذين باعوا اوطانهم للشيطان ، وهانت عليهم انفسهم واستمرأوا الخنوع والخذلان ، وضحوا بكل القيم المثالية فى سبيل ماديات حقيرة ، دفع ثمنها الوطن العربي غاليا .

وخلاصة الخلاصات فى وسائل الاستعمار الى ذلك الهدف كانت تكمن فى مجال التربية والتعليم ، وذلك نظرا لاهمية الدور القيادي فى المجال الفكري الذي تقوم به المدرسة العربية فى الوطن الكبير لابنائنا وبناتنا بناة المستقبل البسام ..

ولقد تمت للاستعمار السيطرة على التعليم عن طريق مستشاريه الذين نصبهم على وزارات التربية فى البلاد العربية ، وهؤلاء المستشارون جهدوا على ان يمحوا اللغة العربية كأداة للتعليم ، وانما كانت تدرس كمادة منفصلة لا يصل نصاب حصصها نصف نصاب لغة المستعمر التي كان يدرس بها المواد الاخرى من كيمياء وطبيعة ورياضيات وغيرها .. .

ومن ناحية الاسس الفكرية فى تاليف المواد فلم تكن علىاسس ثورية عميقة او تدعم الصلات الثقافية والسياسية والاجتماعية بين البلاد العربية ، وان تربط التلميذ بواقعه ، بل جعلت بينهوبين الواقع سدا منيعا ، لا يقدر على اقتحامه اذا ما اتيحت له فرصة النزول الى معترك الحياة ..

والذي لا شكفيه ان المدرسة العربية بهذا الوصف كانت تمثل انعزالا تاما عن الميدان الثوري الواقعي الى حد ما ، وكانت تمثل مزرعة للحكام فى ذلك العصر . .

ولادل على ذلك من ان مادة التاريخ مثلا تعتبر منبرا للدعاية لهؤلاء الحكام ، فمثلا المواقع التي كانت البسالة فيها للجيش .. للشعب .. كانت تنسب الشجاعة فيها لاناس كانوا بعيدين عن المعركة تماما ، وقد يكون امر هؤلاء الحكام كأمر فاروق وعبدالله من معركتنا فى فلسطين ، يعلنان الحرب ، ثم يخونان الجيشالذى يزعمان ان كلا منهما قائده الاعلى ، ويخون كل منهما وطنه الذى يزعم انه مليكه ، يخون كل منهما هؤلاء وهؤلاء ، ويخون معهم ايضا القضية الفلسطينية ومع ذلك كانت الكتب فى مدارسنا العربية تنسب للحكام من هذا الطراز الشجاعة والبسالة .. تنسب للقائد الاعلى الذى يقضى ليله معربدا سهران مخمورا .. قائد الجيش الذى لم ينزل بها ارض المعركة قط ، ولم يعرف مكانها .

ولا ادل على ذلك ايضا من مادة اللغة العربية التى تتحدث كتبها عن المدائح التي قيلت في الحكام .. وعن عيد ميلاد الملك ،وعن مجد آبائه واجداده ، وتنسى كتب مدارسنا العربية - ظالمة - الشعب الذي هو بالحديث احق واجدر تنسى الشعب الذي صنع ابطال ثورتنا وعلماءنا ومفكرينا وشبابنا وشاباتنا .. تنسى مجد هذا الشعب لا مجد الملك .. تنسى صبره على الازمات التي حلت به، والتي اجتازها واحدة بعد الاخرى فى سبيل مصلحة الوطن العليا.

ومن ثم فانك لواجد ان تلاميذ مدارسنا فى ذلك الحين يمثل الكثير الاكثر منهم الانطوائية والتفرنج وادعاء المودرنيزم ، والخروجعلى اصله الذى منه نشأ .. وكذلك فانك لا تنتظر منه خيرا لامته وشعبه .

ومن ناحية اخرى فانه لا بدلنا ان نعرض للاتجاه العام للعملية التربوية فى مدارسنا العربية ، وحسبنا فى هذا المقام ان نعلم ان الدافع الفردي هو الذى يسيطر على العملية التربوية ، وذلك من حيث الواقع الفعلي ، لا من حيث ما هو مدون فى المناهج واذهان المربين الذين يسيطرون علىتقويمالعملية التربوية فى المدرسة العربية. ونحن لا نعيب ذلك الاتجاهمن حيث انه يجعل للفرد قيمه عليا ،وانما نعيبه لان نتيجة الاخذ به فقط هي انعدام روح الفريق فى المواطنين، ومن هنا كان خطره جسيما . حقيقة ان المناهج تقول بان هدف التربية هو تشكيل الفرد اجتماعيا حتى يتمكن من المساهمة فى حياة الجماعة ومظاهر نشاطها ، ومن اجل هذا فهموا المدرسة على انها مجتمع مليء بالخيرات ، ومن هنا اخذوا فى تزويدها بكل ما ينمى هذا الهدف لدى التلاميذ .

حقيقة ان هذا هو المدون على الورق ، والمنفذ فعلا من حيث ايجاد الوسائل ، لكن الذي يحدث غير هذا ، ولكن لماذا ؟

لان المدرسة غير عابئة ولا مهتمة بنمو الطفل الذاتي ، من حيث انه نقطة البداية فى العملية التربوية ، ولا بتحرير قدراته ،وعدمتدخل الكبار في نموه ، كما لاتهدف الى تشكيل التلميذ اجتماعيا حتى يتمكن في النهاية من مواجهة واقع الحياة ، ومن المساهمة في حياة الجماعة

ومظاهر نشاطها ..

ونوضح اكثر فنقول ! من الذي يقوم بتنفيذ هذا الاتجاه في مدارسنا ؟؟

سيجيب القارىء على الفور قائلا المدرس ، ونجيب نحن فنقول ان المدرس الذي يقوم بالتدريس رجل تخرج واقسم فيما بينه وبين نفسه الا يقرأ ثانية ، لانه ليس عنده وقت من ناحيته ، وليس بحاجة الى القراءة ودفع أثمان للكتب التي سيقرأها وهو في حاجة الى هذه النقود. ومعنى هذا انه وقف في تطوره ، فلا يفهم اذن من هذه من هذا الاتجاه شيئا ، وانما يقرأه ولا يستطيع تطبيقه في الفصل .

وبجانب ذلك فان هذاالاتجاه نفسه ليس محققا بين المدرسين انفسهم اذ ان التلميذ معرض لعواصف شتى تهب عليه من كل الجهات، وهي تحمل في طياتها تحطيمه حتى تجعل منه انسانا مشدوها يرقب مايدور في الفصل في خوف وحذر ، والفصل في المدرسة العربية عبارة عن معرض لحشد من المدرسين الذين لاتجمعهم رابطة ولا اتفاق في المشاعر ولا وحدة في العمل ، ولا غير ذلك من الصلات التي يجب ان تتحقق في المدرسة الحديثة التي تهدف الى بناء أمة وتكوين دولة . والنتيجة التي تبرز من وراء ذلك أن كل مدرس يهدم مايعمله زميله ،او يهتم بمادته هو على الاقل .

ومعنى هذا ان كل مدرس عالم بأسره ، له احواله وطبيعته التي لاتختلط بأحوال وطبائع العوالم الاخرى من زملائه .

ولسنا بحاجة الى ان نقول في شأن المادة الواحدة ان مدرسيها لايكادون يجتمعون أيضا على أي رأي او اتجاه ، لانهم مختلفو المؤهل والتربية والتكوين الشخصي ، وكل منهم يرى في نفسه انه أحق بمكان الصدارة ، وله شكاواه ومبرراتها من واقع نفسه طبعا ، ولم يدفع ثمن هذا كله غاليا سوى أمتنا في أعز شيء لديها وهو ثمارها من أبنائها الاعزاء .

وكم كان بودنا الا تكمن ظاهرة عدم وجود روح الفريق في الجامعة بين الجامعيين العرب في كل جامعة ، وفي كل قطر من الاقطار العربية . نعم كم كان بودنا الا يكون لها موطن في ذلك المعمل الكبير الذي يصهر في بوتقته عقول شبابنا وشاباتنا ، ذلك لان الذين يعملون فيالجامعات اناس وصلوا الى ارقى الدرجات الجامعية ، لكن ودنا هذا ليس بنافع ولا شافع ، وما حسبانا في هذا الصدد الا كالسراب الذي يخيل للظمآن انه ماء ، لان الذي ثبت حقيقة ان الجامعات ميدان خصيب لان تكمن هذه الظاهرة فيها لاتريم .

ولا ادل على ذلك مما يبدو في التأليف العلمي حينما يشترك أستاذان في تدريس مادة ما ، ويضع كل منهما كتابا في هذه المادة ، فالويل كل الويل اذن ان يأتي احد طلبته هذا ببعض المعلومات من كتاب ذاك في اجابته ، فاذا تم له هذا فقد ضمن الرسوب مائة في المائة ، ولا عيب على الاستاذ في ذلك ، لان هذا هو المنهج الاكاديمي في الدراسة .

وبجانب هذا فان هناك صورة اخرى تتمثل في ان يقدم بعض الاساتذة على منع ناشر من طبع كتاب زميل له يصغره في السن وفي نفس الكلية والقسم الذي يعمل به ، ويعمد الاستاذ الكبير الى محاربة زميله مخافة ان يغطي عليه ..

كما ان الصحافة في البلاد العربية لها دخل كبير في العمل على انعدام روح الفريق بين المواطنين العرب ، اذ هي ميدان لخلق الجبابرة، وزلزلة القيم ، واشهار من لايستحق الشهرة ، في الوقت الذي تترك فيه الاكفاء المتازين في زاوية النسيان يعملون لان ضميرهم واخلاصهم للوطن هما اللذان يوحيان اليهم بالعمل ، لايعملون ليقال انهم عملوا كذا وكذا ، وتأتي الصحف حينئذ لتهلل وتطبل وتنشر الاخبار القصار والاحاديث الطوال متوجة بصورهم ، الامر الذي يثير الكثيرين ممن يعملون في الميادين كجنود مجهولين ، كما يثير القراء الراشدين ايضا الذين يعرفون حقيقة الوضع الذي تتحدث عنه الصحيفة ، فيعتقدون باديءذي بدء ان الصحيفة تفترض فيهم الغفلة والبلاهة ، والا ماكان لها أن تكتب ماكتبت .. ولسنا نعرف السبب فيما تسلكه صحافتنا العربية من نسبتها بعض المشاريع التي يقوم بها عدد من الموظفين في مصلحة من المصالح ، او مؤسسة من المؤسسات الى رئيس المصلحة او المؤسسة . وذلك حينما تنشر الموضوع وبجواره صورة لرئيس هذه المصلحة ناسبة هذا المشروع اليه ، غافلة عن الجندي المجهول في المصلحة او المؤسسة الذي ابتكر هذا المشروع حقيقة ، وقام بتنفيذه .. غافلة عن الموظفين الصغار الذين يسرهم ان يجدوا تشجيعا من الدولة على ابتكارهم واخلاصهم في العمل الذي يقومون به ..

ولقد كان لهذا السلوك من جانب الصحافة انعكاس على جانب كبير من الخطورة التي كادت ان توقف ملكة الابتكار عند هؤلاء الباحثين والدارسين في مصالحنا الحكومية في الوطن العربي ، وفي الوقت نفسه يجعلهم يائسين من اصلاح الاحوال في بلدنا المفدى مادامت القيم شأنها هكذا من الهوان ، وبالتالي يقضي على الوازع الخلقي عند الرؤساء ، لان كلا منهم سيقلد زميله ، ويجري لاهثا وراء مندوبي الصحف ومحرريها عساهم يكتبون عنهم وعن المشروعات المنفذة في المصالح التي يديرونها.

وقد يكون هذا نوعا من التقدم الصحفي من حيث فنية الصحافة ، وهو ان يبحث المحرر عن رئيس او شخصية كبيرة ، لينسب اليها عمل الاخرين كي يحظى موضوعه بتقدير المسؤولين في الجريدة والقراء معا..

غير اننا نعتقد ان الصحافة بعملها هذا تحطم روح الفريق وتعدمها على مذبح تهريجها وسطحيتها ، لانها لاتعنى الا بما هو كبير ، ولو كان غير عامل في المصلحة العامة، وهذا يؤدي بدوره الى قتل مواهب الشباب والموظفين الصغار ولا يتيح لهم الفرصة لان يتعرف عليهم المسؤولون من خلال اعمالهم فيقدروهم .. اجل ، ان الصحافة بعملها هذا تهمل الشباب المرصوف طريقه بالضحايا ، والذي لايملك الوسائل التي يجعلها تهتم به، اذ انها لاتنشر الا لمن كان قادرا فيسخو على المحرر بالهدايا والدعواتوغير ذلك من الاشياء التي تؤلف بين المحرر والطبيب او المحامي .. او .. او. الى اخره .

في الاسواق

تأملات وجودية

بقلم الدكتور

زكريا ابراهيم

■ لون جديد لم يعرفه الادب العربي من قبل

■ خواطر ويوميات تشتعل بالفكر والحياة وتتناول مشاكل الوجود والموت والعدم والظلام ، وتذكرنا بيوميات كيركجورد وغابرييل مارسيل .

■ مذكرات حية تلوح كلمع من النجوم وسط حلكة الجفاف الاكاديمي .

■ كتاب هام يعيش قضية « الفكر » وسوف يكون بدء سير في طريق جديد من طرق التعبير بالعربية

الثمن ٢٥٠ ق.ل

منشورات دار الاداب

ومن ثم كان لابد للشباب من أن يضيع بين براثن الكبار القادرين، وتصبح الحياة لمن له ظفر وناب على حد قول شوقي :

ودعوى القوي كدعوى السباع من الناب والظفر برهانها ..

ولقد كان هذا الخلق الصحفي ـ ازاء الجماعة الذين يكتوون بلهيب العمل ـ ضربا من خلق انعدام روح الفريق في وطننا العربي .

ويسوقنا الحديث عن الصورة الماضية التي نلمسها في ميدان صاحبة الجلالة التي تهتم الصحافة فيها بالرؤساء والكبار ، الى اهتمام اخر برجال المجتمع وسيداتها مهملة بهذا السواد الاعظم من الشعب ..

وخلاصة الخلاصات التي تقال في هذه الصورة ان الصحافة لاتهتم الا بالنجوم من الكتاب كما تسميهم ، وتترك الشباب الناهض الذي يعمل ويخلص في العمل ، ويجد والناس هازلون ، تتركهم بدون التنويه عن أي عمل أدبي لهم فضلا عن الاحاديث الطويلة ، التي يحظى بها كبار الكتاب ، والتي تتضمن أحيانا الحديث عن المرأة التي كانت وراءه ،والتي كانت سببا في مجده .

ومعنى هذا ان الصحافة بهذا العمل لها يد طولى ، وفضل لايجحد في زلزلة القيم ، والعمل على انعدام روح الفريق بين المواطنين ، وانها لاتهتم الا بمن ينتمي لكبير من العاملين في ميادينها من الشباب ، واذا لم ينتم الشاب الى كبير فليذهب الى حيث القت رحلها.. او اولى به ان تميد به الارض ، لان بطنها خير له من ظهرها .. ليفعل مايشاء فما هو بمحرك ساكنا ، ولا بمسمع صوتا ، لان الابواب قد غلقت امامه وأحكم اغلاقها ..

* *

وقد كان لوجود هذه الظاهرة ـ ظاهرة انعدام روح الفريق ـ في الميادين السابقة أثر على التفكير العربي ، كان من نتيجته ظهور هذه القبائل التي نحن بصدد الحديث عنها ، وعن طريق هذه القبائل بعثت العصبيات من مرقدها ، الى درجة ان رائحتها فاحت حتى زكمت أنوف العقلاء من الدارسين المنصفين ، وفي الوقت نفسه اصابت شداة الادب وهواته بخيبة امل فيما كانوا يرجونه في هؤلاء النقاد والمفكرين الذين ابتعثوا تلك العصبيات وأقاموا لها ندوات ومهرجانات ، واتخذوها منهجا وهاديا ونصيرا. ونحن نتساءل ، ويحق لنا ان نتساءل في هذا المقام..هل يوجد انسان ما يدفن رأسه في الرمال محاولا اخفاءها ، لكي لايرى مايدور في حياتنا الفكرية والادبية ، وذلك لكي يقول في النهاية ان الحالة في الادب والفكر على مايرام ؟

انني اعتقد انه لايوجد ذلك الانسان الذي يرضى ان يقوم بذلك الدور التمثيلي ، واذا وجد وقال هذه القولة الظالمة فلحساب من يقولها ؟!

ومهما يكن من أمر فان هذه القبائل النقدية تمور بانواع من الصراعات تأسست على الظاهرة العامة في شتى مجالاتها في التفكير العربي وهي انعدام روح الفريق التي سبق الحديث عنها ..

وقد بدت هذه الصراعات في صور عديدة ، فمنها ماحدث بين الشيوخ والشباب :

والصراع بين الشيوخ والشباب هو مايحدث بين جيلين يعاصران بعضهما البعض ، وهذان الجيلان يمثلان الشيوخ والشباب في عالم الفكر.

ويكاد يتفق الشباب على ان الشيوخ متعصبون ، لانهم لايتيحون للشباب الفرصة لكي يحققوا ذواتهم عن طريق الكتابة، وفي الوقت نفسه نرى ان الشيوخ يتفقون على ان الشباب عابثون ، لايأخذون انفسهم بالشدة لكي يصبحوا مفكرين وأدباء ، لان هذا الطريق وعر المسالك مرصوف بالضحايا ، ويذكرون في كل مناسبة وغير مناسبة ماحدث لهم حتى وصلوا الى ماوصلوا اليه .

وبجانب ذلك فان الشباب لايستمع الى توجيه الرواد الكبار ، ومن هنا فانهم ينزعون الى الضحالة والسهولة في المضمون والتعبير في كل تجاربهم الادبية ، حتى انك لترى ادبهم عبارة عن محاولات لاتصعب على كل من تعلم القراءة والكتابة .

ـ التتمة على الصفحة ٧٧ ـ

نشيد العودة

من وحي شهداء الحرية في اليمن

هناك فوق قمة الضياء في حدائق الافق
والنيل ينسج المروج بالجنى والشعب ينطلق
تأملوا الابطال ، هذه دماؤهم على الشفق
تقبل الوديان ، والحياة بالفداء تنبثق

*

ولنرفع الجبين عاليا فانهم يشاهدون
ألوية النصر ترف حرة على حمى العرين
ولنفرش الطريق بالزهور للاباء والبنين
تحية للخالدين من طلائع المناضلين

*

على ربى « صرواح » والظلام مطبق على الوجود
وألف عام من هوان يسحق الاطفال في المهود
مضوا يهزون الشروق ينشرون عالى البنود
فيقتلون ، يقتلون في هوى الحياة والخلود

*

هيا الى الوادي الامين يارفاق نجتنى السلام
ونجتلى انوار من اردوا هنا جحافل الظلام
أرواحهم تسرى بنا في موكب الحياة للامام
جراحهم تشع في صدورنا الفخار كالوسام

*

لا تخفق الشفاه بالوداع ، انهم سيرجعون
سيرجعون في الربيع ناضرا على مدى السنين
سيرجعون والحصاد في الربى والطير في الغصون
سيرجعون بسمة على الثغور قرة العيون

*

المجد للشعب العريق يفتدي بروحه حماه
للبعث جيلا بعد جيل يقهر الخوان الطغاه
للغارسين بالدماء دوحة السلام والحياه
للعائدين يشهدون مجدهم ، فلنرفع الجباه

القاهرة — **حسن فتح الباب**

والقبلية النقدية ايضا ..

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٣٠ ـ

ونحن ازاء هذا كله حريصون على ان نضع الامور في نصابها فنذهب مع الشباب لنرى : هل الشيوخ حقيقة متعصبون يقطعون الطريق على الشباب ؟

ومن ناحية اخرى نتفحص سلوك الشباب واعمالهم لنرى : هل دعوة الشيوخ لازالت قائمة ؟ وان هؤلاء الشباب لايستحقون التشجيع ونشر انتاجهم او اجازتهم من أي مؤسسة ثقافية ، وانما الذي يجب لهم فقط شيء واحد وهو مصادرة انتاجهم ..

غير اننا قبل ان نتحدث عن هؤلاء وهؤلاء ، يجب ان نتعرف اولا على الشيوخ الذين يزعم الشباب انهم متعصبون ، وحينئذ فقط يحق لنا ان نتساءل : هل نعتمد في معرفة هؤلاء على عامل السن فيصبح الشيخ هو المعمر فقط ، وغير المعمر ليس بالشيخ ؟؟ ام نعتمد في معرفتهم على عدم اتاحتهم الفرصة للاخرين لكي يحققوا ذواتهم ـ كما أشرنا الى ذلك قبلا ـ في المؤسسات التي يهيمنون عليها . ومن هنا تصبح عنونتنا لهذا الصراع غير ذات موضوع ، لانها ستشمل عمل المهيمنين على المؤسسات الثقافية ، ومنهم من ليس معمرا ، وسيدخل فيها ايضا ان الذي يحال بينه وبين نشر انتاجه وتحقيق ذاته قد لايكون شابا .

اجل ، قد يفهم هذا في العنونة ، وفي معرفة حقيقة الشيوخ ، غير اننا قد نفهم في غير المعمرين الذين يصطنعون هذا اللون من القبلية فهما اخر يلحقهم بالمعمرين ويسلكهم في عدادهم من حيث تصرفاتهم ، وهو ان يكون هؤلاء قد تشيخوا في افكارهم ووقفوا عند خط معين من التفكير لايعدونه ، ومن هنا فليسوا بغريبين على المعمرين ، وان كان هناك فارق السن ، لان العبرة في هذا المقام بتجانس التفكير ، لابتجانس الاعمار ، فكم من معمر يسبق الشباب في الاستجابة لدواعي التطور ومواءمته للجيل الذي يعيش بينه ، وكم من شاب يفكر بعقلية المعمرين ، ويعيش ضيفا بين أفرانه ولداته ، لانه وقف ـ عند السابقين ـ في التفكير ، واقام لايريم .

على ان هناك بعض الشيوخ قد نجح في ان يجمع حوله الشيع والاحزاب ليقوموا بالترويج له والطبل والزمر . وقد تبدو صورة هؤلاء الشيع وتلك الاحزاب في المتتلمذين على ذلك الكبير الذي مكن لهم من معظم اجهزتنا الثقافية والفكرية نظير اخلاصهم في الدعوة لافكاره واحلالها في اذهان الابناء والمفكرين من الشباب بأساليبهم الخاصة التي رباهم عليها كبيرهم .

وقد ينشأ هنا سؤال هو ألزم يتضمن ان هذا ليس الا ضربا من التلمذة الفكرية التي ينبغي التوسع فيها وتنميتها حتى تتطور حياتنا الثقافية وتزداد ثراء وقوة . غير اننا نقول في هذا المقام : ان التلمذة الفكرية اذا تحولت الى ضرب من الاحتكار والاثرة ، واذا أغلقت المجال في وجوه الاخرين وحرمتهم من ممارسة ثقافاتهم وخبراتهم في فرص متكافئة مع الاخرين ، اذا حدث هذا تغدو التلمذة الفكرية ، وقد فقدت رسالتها واستحالت الى ضرب من القبلية التي تحرمنا من النظر الى الدنيا بعيوننا كاملة ، بل ولا نغالي اذا قلنا انها تحول مثقفينا شيئا فشيئا الى ببغاوات ناقلة تفقد القدرة على الابتكار والتأصل .

واذا أمعنا النظر في هذا الصنيع لوجدنا انه ضرب من القتل الادبي للعناصر التي لاتحرق البخور تحت ارجلهم بزعامة شيوخ هذه القبائل ، ولا تنتمي اليهم ، ولا تدين بموالاتها لهم ، وذلك عن طريق حرمان تلك العناصر من أي نسمة ضوء تتخلل الى انتاجهم ، ثم تهمل ذلك الانتاج مهما كان على درجة من الجودة ، بحيث يظل حبيسا في مكانهم بحجة البحث والفحص حتى يذوى ذلك الانتاج ويموت دون ان يرى النور ، او يحس بوجوده احد ..

ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟؟

والسبيل الى ذلك سهل يسير ، يتضمن مقاطعة الانتاج من حيث نقده وابرازه والحديث عنه في الصحف والاذاعة والمجلات وغيرها من المؤسسات التي تتلقى بالرحب والسعة انتاج زملائهم ممن ينتمون الى القبلية اياها .

ونعتقد ان هذه العناصر لو شجعت ونالت التقدير الذي يكفله لهم السلوك الانساني الذي يعتمد على الكفاءة والامتياز ، لا السلوك الفاني الذي يعتمد على الخطف والانتهاز . نعم لو نالوا التشجيع والتقدير لبذلوا الجهد والجهيد ، والنفس والنفيس في سبيل مايقومون به من عمل فكري ، ولا استهدفوا الزيادة في العمل والتجويد فيه ، بدلا من احجامهم ، وعدم اخلاصهم فيما يعملون .

عصبية المذاهب الادبية :

وثمة صراع اخر يحدث بين القبائل الناقدة ، ويتسم ذلك الصراع بالعنف والعصبية التي تتم في جنح الظلام من هؤلاء الشباب الذين يريدون علوا في الارض ويريدون ان يكونوا شيئا مذكورا .

ويجمل بنا قبل ان نتحدث عن ذلك الصراع ان نتعرف على المذهب الذي وقف عنده الرواد لايريمون . وذلك لكي نعرف مدى البون بينهم وبين الشباب ، ويمكننا ان نعرف بسهولة انه هو المذهب الرومانتيكي الذي قام على انقاضه المذهب الكلاسيكي في اوروبا في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر (١) . ولما كان هؤلاء من الذين ادركوا القرن التاسع عشر والقرن العشرين معا ، كان اول ماوقعت عليه عيونهم المتطلعة للقراءة هو الادب الذي يتفق ومباديء المذهب الرومانتيكي ، خاصة وان جمهور الرومانتيكيين هم الطبقة الوسطى ،وهذا شيء يرضى كتابنا الكبار الى حد كبير ، لانهم يريدون ان تحصل الطبقة الوسطى التي يمثلونها آنذاك على حقوقهم السياسية والاجتماعية ، ومن هنا وجدوا جمهورا يقرأ لهم ، واعتمدوا عليه كل الاعتماد في قراءة مايكتبون ، واصبح هؤلاء الرواد ـ الذين كانوا يعتبرون الى حد كبير مجددين ـ يعبرون عن مطالب طبقتهم الوسطى ويبلورونها ، ويعيشون في صميم مسائلها ومشاكلها . كما انهم انفوا ان يقنعوا بمكان متواضع في المجتمع ، يعبرون فيه عن قيم لا تمثل حاجات طبقتهم الاجتماعية . على ان مسلكهم والحق يقال كان يتفق والمشاعر الانسانية ، لانهم كانوا يدافعون عن طبقة مهضومة الحق ، وهي الطبقة التي نشأوا فيها ، وهم على وعي بانهم يقودون معركة التحرير ضد طبقات الطفيليين من الارستقراطيين ، فكان ادبهم بلا شك ممهدا لثورة ١٩١٩ في مصر ومصاحبا لها ، وذلك عن حرية وايمان برسالته الانسانية .

اجل وقف الرواد عند المذهب الرومانتيكي وعند مقتضياته في عالم الاداب والفنون ، لانه المذهب الذي وافق رغباتهم في الادب والفن، وبمقتضاه يعبرون عن انفسهم وعن الطبقة الوسطى التي هم بعض لبنانها ..

وعلى هذا الاساس فان معظم تجاربهم انما جاءت وفقا لهذا المذهب الذي تشربت به ارواحهم واختلط بعقولهم .

كما ان نقدهم لتجارب الاخرين انما يتخذ مقاييسه من مقاييس النقد الرومانتيكي وقد حدث هذا ،لانه المذهب الذي يحاول ان يجعل من طبقتهم شيئا مذكورا ، ويجعل من الادباء حراسا على مطالب الطبقة المتوسطة التي كانت تمثل السواد الاعظم من الشعب آنذاك . لانه يرضي نفوسهم الحالمة التي تتخذ من الادب وسيلة للسمو بالمشاعر الانسانية .

ومن هنا فلا نعجب اذا وقفوا من الواقعية موقف المناوىء لها ، المتربص بها ، وذلك لانهم قد لايحسون بما يحدث لجمهورها ـ فيما يغلب على اعتقادنا ـ او انه لايمكن ان ينفعلوا بها بعد ان تشعبت ارواحهم بمطالب نفوسهم التي تمثل الطبقة الوسطى ..

على ان الشباب وان نشأ معظمهم نشأة رومانتيكية الا انهم وجدوا

---

(١) راجع الادب المقارن للدكتور محمد غنيمي هلال ص ٣٥٤ وما بعدها

انفسهم تائهين بتجاربهم التي كانت تمثل وجهة النظر الرومانتيكية بجوار تجارب العمالقة الذين يسيطرون على الميدان الادبي بانتاجهم الوفير ، والذي تشع منه نسمات الرومانتيكية الحارة المتأججة ، وهم لايريدون ان يعيشوا امعات ، ولا ان يكونوا انطوائيين ازاء انتاجهم ، ومن هنا فانهم تطلعوا هم الاخرون الى الادب العالمي وراحوا ينشدون فيه بغيتهم ، وما لبثوا ان وجدوها ، وهي تمثل وجهة النظر الادبية الحديثة عند معظم الادباء في العالم وهي الواقعية ـ التي آنف روادنا منها ، لانهم لايستطيعون ان يتمثلوها ، او ينفعلوا بها او بجمهورها ـ فعكفوا على دراستها ودراسة تجارب ادبائها ووقفوا عندها ، لكنهم والحق يقال وقفوا عند شيء جديد، لانه من ناحية ادبائنا جديد عليهم من ناحية الواقع الصرف ، لانهم وان قرأوها ، وان درسوها ، فانهم لاينفعلون بها ، وبالتالي لايسمحون لانفسهم بالكتابة بما يتفق ونظرة معظم روادها في العالم .

واما من ناحية جمهور القراء فهو شيء جديد عليهم كل الجدة لم يسبق لهم التعرف عليه ، ومن هنا فانهم استقبلوا تجاربها في الادب الموضوعي بالتهليل والترحاب كما يدل على ذلك رواج الصحف التي بدأت تهتم بانتاج الشباب الواقعي الذي يستمد مادته من الطبقة الدنيا من المواطنين .

واذا امعنا النظر في الطبقة المتوسطة التي وقف عندها الرواد لوجدناها قد انزوت ، واصبحت تمثل عددا ضئيلا في هذا الوطن ، لانه اذا صح انهم كانوا يكتبون منذ خمسين عاما او تزيد ، فمعنى هذا انهم بدأوا ايام كانت الغالبية العظمى من الشعب تمثل الطبقة المتوسطة ، أي انهم كانوا يكتبون أيام « الجدود » يعني آباء الاباء لهذا الجيل ، واذا كانت ملكية آباء الآباء قد قسمت بين الآباء واخوتهم ، كان معنى هذا ان الملكية قد وزعت الى بضعة أنصبة مثلا ، ثم يأتي بعد ذلك تقسيم ملكية الاب على عدد الاخوةلكل مواطن من جيلنا نحن .

ومعنىهذا بتعبير اخر ان الرجل الذي كان يملكمن الجدود مايقرب من ثلاثين فدانا ، فانها قسمت على المتوسط من عدد افراد الاسرةالمصرية وهو خمسة افراد . واذن يكون نصيب الواحد منهم ستة افدنة وهو جيل الاباء ، واذا قسمت ملكية الواحد منهم وهم آباؤنا على عدد ابنائهم فان كل فرد سيخرج بفدان واحد تقريبا ، وهو لايؤهله للطبقة الوسطى باي حال ، بل انه يجعله من الطبقة الدنيا ، لانه لايكفي بمطالبه الضرورية .

ونخلص من هذا كله الى ان الطبقة الوسطى قد تحولت من الملاك الى بعض كبار الموظفين وقليل ما هم .

ومعنى هذا ببساطة ان الرواد فقدوا عددا كبيرا من قرائهم ، لان تجاربهم اصبحت لاتعبر عن مطالب الغالبية العظمى من المواطنين .

ولما كانت الصحف تهتم بما يرضي قراءها ، فانها قد شجعت هؤلاء الشباب على الكتابة ، وذلك بنشر انتاجهم من ناحية ، وبالمكافآت السخية من ناحية اخرى ، وزحف هؤلاء على الصحف والمجلات وتربعوا على عرش صفحاتها الادبية . في الوقت الذي ذهب فيه ريح « القصائد العصماء » واحاديث الكتاب عن سهراتهم وعن نزواتهم ، واصبح من يكتب منهم ، انما يكتب اجابة لسؤال مهما كانت قيمة السؤال ، وهل هي معبرة عن المواطنين أم لا ؟

وهناك فريق من الرواد آثروا الاعتكاف والانزواء ووضعوا القلمفي جرابه وراحوا في سبات عميق .

على ان الرواد وان فقدوا سيطرتهم على ا لصحف ، فانهم ظلوا يحتفظون بالهيمنة على المؤسسات الثقافية التي تشجع الدارسين والادباء . ومن هنا كان لابد لهم من اتخاذ موقف حاسم ضد هؤلاء العاقين من الشباب الذين خرجوا على تقاليدهم واجماعهم ، وكان هذا الموقف الذي اتخذوه انما يتمثل في مقاطعة انتاج الشباب الذين يختلفون معهم في الرأي ، وينظرون الى الادب نظرة اخرى تغاير نظرتهم اليه ، وقصروا تشجيع مؤسساتهم على الانتاج الذي يتفق ووجهة نظرهم عند شباب اخرين .

واذا كان هذا هو الموقف الذي اتخذه الرواد ـ الذين فقدوا سيطرتهم على الصحف ـ ضد الشباب الذين يتجهون اتجاها ادبيا اخر يغاير اتجاه الرواد الادبي .. اقول اذا كان الرواد قد حاربوا اصحابنا في انتاجهم ، فان الاخرين قد قابلوا تصرف الرواد بالمثل ، وتعصبوا لانفسهم ضد الرواد ومن يلوذ بهم ممن يحرقون لهم البخور تحت أرجلهم ، وقد اتخذ هذا التصرف عدة مظاهر منها .

السيطرة على الصحف :

وتتمثل هذه السيطرة في أنهم وزعوا انفسهم على الصحف في جميع أقسامها توزيعا من شأنه أن يسد الطريق على أي طارق للصحف الا اذا كان ممن يؤمن بما يؤمنون به ، وتتفق آراؤه وآراؤهم ، ويكون سلوكه متفقا لسلوكهم بحيث يكون ايجابيا مع من يناوئون اتجاههم الادبي فيمنع تنفيذ أي حاجة لهم في مصلحته التي يعمل فيها .

ومن هنا ترى الصحف وقد جمدت على هؤلاء بحيث كان لايسمح لمن يعارضون اتجاههم الادبي ان ينشر قصيدة او مقالة او خبرا او غير ذلك ، سواء أكان كبيرا ام ذيلا لكبير ، في الوقت الذي ينشرون دائما وابدا عن انتاجهم وعن انتاج غيرهم ممن هم على شاكلتهم . وحسبنا ان نعلم انهم قد تناولوا دواوين وشعراء منهم او ممن يلتقون بهم ، ويؤمنون بدعوتهم بالنقد والتحليل عشرات المرات في الصحف والندوات الخاصة والعامة بحيث اصبح تكرار الحديث عنها امرا ملحوظا عند جميع القراء ، والذي تقوله في هذه الدواوين يمكن ان تقوله في انتاج الكثيرين ممن يعملون بالاذاعة من زملائهم وأخوانهم الذين يجمعهم ذلك الاتجاه الادبي معهم ، في الوقت الذي يقاطعون فيه انتاج غيرهم ممن يناوىء اتجاهاتهم الفكرية والادبية ، او لايناوئها مثل الشاعر عبده بدوي الذي انساق في اتجاههم الادبي وقال عدة قصائد على طريقة الشعر الحر لتكون سبيلا له امام النشر في الجرائد والمجلات التي اوصدت ابوابها في وجهه وأمثاله . وبالرغم من ان قصائده في الشعر الحر قيمة من حيث قيمتها الادبية وغيرها ، الا انه رجع عن هذا اللون من الشعر وندم على مافرط منهكما تنص على ذلك مقدمة ديوانه الثاني .

وتسوقنا سيطرتهم على الصحف الى نوع اخر من السيطرة ، وهو سيطرتهم على الاذاعة ، وكما رأينا سابقا ان الذين يعملون منهم في ميدان الصحافة انما يروجون انتاجهم وانتاج زملائهم في المؤسسات الاخرى ممن يتجهون اتجاههم الادبي والفكري ، كما رأينا ذلك ، فاننا نرى هنا ايضا ان الذين يعملون منهم في ميدان الاذاعة والتليفزيون يحولون بين من لم يكن معهم في اتجاهاتهم على اختلاف انواعها وبين الاذاعة والتلفزيون في جميع اركانهما سواء أكانت أدبية ثقافية ، أم اجتماعية سياسية او غير ذلك .

ودونك ايها القاريء الاذاعة مثلا ،واختر أي ركن من اركانها واستعرض الاسماء التي تتعامل مع الاذاعة في تلك الاركان ، اصنع هذا علك تخرج معي بأن أسماء معينة وانتاجا معينا هي التي تقوم بهذا العمل ، وهي هي الاسماء التي تساعد المذيعين والمخرجين على النشر في الصحف في مجلاتهم وجرائدهم .

وهؤلاء وهؤلاء يمكنك بسهولة ان تتلقطهم في الليل من جماعاتهم ، او ان شئت فقل جمعياتهم التي يجتمعون فيها ، وأؤكد لك ان ماأقوله لك أيها القاريء هو الحقيقة التي لامراء فيها ولا مبالغة ولا شطط .

ومعنى هذا ان الشباب يحاول ان يكيل بالكيل الذي يكيل به الرواد ومن يحرقون لهم البخور امام مواقدهم ، وبين هؤلاء وهؤلاء فريق من الناس ضاع بينهم ، وأصبح حاله في الميادينالادبية والثقافية كحال من وقع بين « شقي رحى » .

* *

اجل ، لقد تعصب الشباب كرد فعل لتعصب الكبار لاتجاههم الادبي ووجدوا ان كل شيء يمكن ان ينفعهم في ابراز اتجاههم الادبي لابد ان يقتنصوه ، وبما ان المؤسسات الثقافية يسيطر عليها الكبار ، فانهم قد سيطروا بدورهم على الاذاعة والصحف ليعم الانتفاع بهذه الميادينالمختلفة في اوساط الشباب المتطلعين الى الثقافة علىشيء من البساطة ،والبساطة هنا تعني انهم يطلبونها من الصحف والاذاعة ، ولا أمل للمتعصبين من

الشباب في الشيوخ ، ولا في الجيل الذي يليهم ، وحسبهم الشباب الذي يطمعون فيه كل الطمع ويتملقونه كل التملق ، لانهم رواده وكبار أدبائه .

ومن ثم فان السيطرة على الصحف والاذاعة وجميع ضروب الاعلام قد ضربت حائلا كثيفا بين هؤلاء الشباب وبين الرواد والجيل الذي يليهم ، والذين لاينتمون الى هؤلاء ولا هؤلاء من الشيوخ او الشباب .

* *

ويغلب على اعتقادنا ان هذا التناحر والتعصب الذي يقع بين الشيوخ والشباب في المذاهب الادبية ليس في صالح الوطن ولا في صالح المواطنين . وانما يبعث على تأليف القبليات النقدية التي نعاني منها الان أشد المعاناة وأقساها ، نعاني من تلكم الحملات والمعارك المسعورة ، والحروب الطاحنة التي تدور بين دعاة هذه المذاهب ، او بين انصار هذا الكبير او ذاك ، أو بين أساتذة الجامعة الذين يشتجرون في معارك تنزل بهم من المذهب الادبي والاتجاه الفني الى نوع من السباب ،وتنحرف كذلك تجاه الجانب الشخصي للمشتجرين ..

والعصبيات المعهدية :

وتحت هذا العنوان يوجد نوع من الصراع لايقل خطورة عن الصراع السابق الذي يكمن في المذاهب الادبية ، وهذا الصراع تقوم به الطوائف المتعلمة في بلادنا العربية ، وتعاني منه جميع الميادين الثقافية والادبية التي تقوم بالقيادات الفكرية في وطننا أشد المعاناة ، لان مايقوم به البعض من المشاريع الثقافية مثلا يهدمه البعض الاخر بدعوى عدم صلاحيته وان كان السبب الحقيقي للرفض هو التعصب المعهدي ـ فيما يغلب على اعتقادنا ـ وهو فوق ذلك عقبة كئود من اكبر العقبات واخطرها على طريق الاشتراكية ، ورذيلة من الرذائل التي تحاول ان تمزق وحدة البلد الواحد وتعمل على تفتيت كيانه . وكيف لانعجب من هذا النوع من السلوك اذا وجدناه ظاهرا بيننا في الوقت الذي يجب علينا ونحن نبني الدولة ان نجعل التعاون هو السياج الذي يحيط بقضايانا ويدعمها ،والا أصبحت العصبية المعهدية بلا شك أقوى محطم للرابطة الوجدانية بين طوائف الامة ، الامر الذي يبعدهم كثيرا عن الخلق الاشتراكي ، اذا صح ان الاشتراكية سلوك وأخلاق وفكر .

وحينما نقول « بالتعصب المعهدي » فانما نقصد به التعصب لنوع الثقافة التي يقوم عليها هذا المعهد او ذاك ، ونحن نرى ان التعصب للثقافة ليس فيه مايؤذي الا حينما يكون معناه احتقار ثقافات الاخرين ، وحينئذ يكون هذا التعصب خطرا داهما حاطما يهدد الوطن العربي بشر مستطير لا قبل لنا به ، لاننا احوج مانكون الى ان نصرف الوقت الذي ننفقه في علاج أمثال هذه المشاكل الناشئة من تأصل الدعايات الاستعمارية في اذهان القائمين بهذا اللون العجيب من التعصب .. اننا في حاجة الى هذا الوقت للبناء في هذه الامة بدلا من انفاقه في الترميم لاساس واه .

ونحن نتساءل ، أليس من الممكن ان تقضي الدولة على العصبيات المعهدية .. تلك العصبيات التي تعاني منها جميع الميادين الثقافية والادبية والتعليمية التي تقوم بالقيادات الفكرية في وطننا ، ولعل تلك المعاناة التي تصادفها تلك الميادين هي التي دفعت الجمهورية العربية المتحدة الى الايمان بان الاشتراكية في الفكر أمر محتوم بين خريجي المعاهد المتناظرة ، لانه لايجوز بحال من الاحوال ان يظهر هذا اللون ، في الوقت الذي تتجه فيه الدولة بجميع امكانياتها وطاقاتها الى جعل التعاون هو السياج الذي يحيط بالاشتراكية ـ بصفة عامة ـ ويدعمها ، وذلك بلا شك محطم للرابطة الوجدانية بين طوائف المثقفين ، الامر الذي يبعدهم كثيرا عن الخلق الاشتراكي ، اذا صح في اعتقادنا ان الاشتراكية سلوك واخلاق وفكر ..

فهذه هي الصراعات التي تمور بها القبائل النقدية في وطننا العربي ، والتي تأسست على الظاهرة العامة في شتى مجالاتها في التفكير العربي ، وهي انعدام روح الفريق التي ذهبنا الى انه كان لها أثر على التفكير العربي ، كان من نتيجة ظهور هذه القبائل التي تحدثنا عنها في مقالتنا السابقة ، والتي كانت سببا في زلزلة القيم النقدية ، واهدار مبدأين انسانيين يتمثلان في تكافؤ الفرص ، والبقاء للاصلح . وذلك في الوقت الذي ينص الميثاق الوطني بصراحة على حرية الفرد في التعبير عن رأيه ومشروعية تكافؤ الفرص ، وذلك حينما يذهب الى ان جوهر الاديان السماوية تؤكد حق الانسان في الحياة والحرية ، ولا بد من وضع الفرصة المتكافئة امام البشر أساسا للعمل في الدنيا وللحساب في الاخرة ..

والى لقاء اخر ..

القاهرة — عبد الحي دياب

في المكتبات :

المعاناة من أجل شيء

مسرحيات ذات فصل واحد

للاستاذ عبد الله القويري

الثمن ٢٠٠ ق.ل

العيد في الأرض

قصص ليبية قصيرة

للاستاذ عبد الله القويري

الثمن ٢٠٠ ق.ل

منشورات

المكتب التجاري

بيروت